نقد المقاومة الفلسطينية ...
وموضوعة الحزب والنظرية الثوريين

سعيد جواد

الحزب الثوري أم المقاومة المسلحة أولا ؟ هذا السؤال الكبير قفز الى المقدمة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . وكانت الاجابة عليه من أبرز المعضلات التي واجهت حركة التحرر الوطني الفلسطينية . ولقد استأثرت هذه المعضلة بأوسع الحوارات وأكثرها أهمية حول طبيعة العلاقة بين المقاومة المسلحة والحزب ، وأي المهمتين تتقدم على الاخرى . وبتصاعد حركة المقاومة وتأكيد حضورها وفاعليتها العسكرية والسياسية كنتيجة حتمية للظروف التي خلقتها هزيمة حزيران وانهيار الانظمة والجيوش المهزومة **ارتدت الى الوراء موضوعة اسبقية الحزب الذي يقود المقاومة المسلحة** ، لتقدم الموجة الثورية الصاعدة جوابا للمناقشات النظرية حول هذه المسألة وتحسمها . عندها ، صعدت موضوعة **بناء الحزب الثوري من خلال تصعيد وتعميق حركة المقاومة المسلحة** واكتسابها مضامين طبقية وفكرية متقدمة .

الا أن نكسة معارك أيلول و**الردة الايديولوجية التي أعقبتها** ، ولا تزال ، وعلى امتداد فصول الانحسار المؤقت — **وهذا ليس جديدا في تاريخ الثورات** — جعلت أصوات عشرات المثقفين البرجوازيين **ومن مواقع مختلفة** ترتفع بدءا من « اطروحات » الياس مرقص حول فشل المقاومة وحرب الشعب واستبدالها بدور الجيوش العربية النظامية ، مرورا بكتابات العفيف الاخضر عن المجالس العمالية التي تقفز من فوق حاضر حركة المقاومة وواقعها وشروطها الشديدة الخصوصية ، وهي في الوقت نفسه تستنكف عن الخوض بالمعضلات الجدية الآنية التي تواجهها ومرورا كذلك بجميع العناصر التي « تدعي » الماركسية ، بعد ان وضعت نفسها خارج حركة المقاومة ، ونصبت من نفسها وصية عليها ، وأخيرا محاولة صادق العظم « النقدية » التي لن تكون الاخيرة . وهذه المحاولة رغم طابعها العام كمحاولة تقييم نقدية، **وانطلاقها من مواقع مختلفة عن الكثير مما سبقها** ، واتسامها بقدر من الموضوعية في نقد بعض الظواهر المرضية التي رافقت حركة المقاومة ، الا ان انتقائيتها الصارخة ، والنتائج العملية التي تترتب على استنتاجاتها النهائية (والعبرة بالنتائج) **يجعلها تلتقي مع جميع المحاولات التي سبقتها** ، وتحديدا هي تلتقي معها في **اعدام الفصول الحاضرة من هذه المرحلة التاريخية** . وهذه الفصول ستترك آثارها الواضحة والعميقة ، ليس على حركة التحرر الوطني الفلسطينية فحسب ، بل على مجمل حركة التحرر الوطني العربية بفصائلها الديمقراطية والثورية ومستقبلها .

ان ما يميز هذه المحاولة هو : (١) ربطها التعسفي بين **خسارة معركة ، ونهاية دور قيادة سياسية** وطنية ذات طبيعة ومهام طبقية وفكرية محددة **لا تزال في مواقع وأشكال نضالية ثورية** تجعلها تحتفظ بكامل شروط استمرارها ما دامت تقاتل وترفض التسويات